من أوراق الرئيس (37)

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

الرسالة التاريخية التى أرسلها

الرئيس السادات إلى مجلس الثورة الليبى

المفاجأة: ألا يقوم القذافى بعمل مفاجئ بشرط أن يكون شاذا أيضا. وقصة العلاقات المصرية القذافية هى مجموعة من المفرقعات فى الشوارع والعمارات والميادين..

وكان من الطبيعى جدا، وقد تجمع لديه المال الكثير، والسلاح الحديث، والحقد العميق، والجنون العظيم أن يربط الشعب الليبى بالسلاسل.. وأن يحيط نفسه بأفراد قبيلته وأن يملأ أفواه أبناء القبائل بالذهب.. وأن يقيم لهم الشركات الوهمية فى عواصم أوروبا.. وأن يغرقهم فى الملذات لينشغلوا تماما عنه وعن الذى يجرى فى ليبيا...

ولم تفت القذافى فرص الدخول بين الكاثوليك والبروتستانت فى أيرلندا، وبين المسلمين والشيوعيين فى السودان، وبين المسيحيين والشيوعيين فى أثيوبيا، ولم ينس أن يضرب أريتريا بأسلحة أثيوبية كوبية سوفيتية..

ولم ينس المناسبات المصرية والقومية فى مصر ولا المؤتمرات الدولية ولا رحلات الرئيس السادات إلى أوروبا وأمريكا من أجل السلام.. وفى هذه المناسبات حرص القذافى على تحويل العيون عن هذه الجهود السامية من أجل التضامن العربى والأفريقى ومن أجل توضيح قضية مصر العادلة..

وحاول الرئيس السادات أن يفهم من القذافى ومن الوسطاء ذهابا وإيابا ما الذى يريده هذا الرجل بالضبط. فلم يستطع!..

وقد بعث إليه الرئيس السادات برسالتين هامتين. يعدد فيهما المحاولات الصابرة من أجل الإقناع أو الاقتناع. ولكن لم يفلح.

وفى أوراق الرئيس السادات أشارات كثيرة إلى هاتين الرسالتين، وتوضيح ما جاء فيهما. ووضعهما فى مكانهما من تاريخ العلاقات المصرية الليبية أو العلاقات المصرية السوفيتية.

وعلى الرغم من أن هاتين الرسالتين قد نشرتا فى سنة 1974، فإن أجهزة الإعلام الليبية تنكر ذلك وتتنكر لما جاء فيهما.. الأولى التى ننشرها اليوم بتاريخ 7 مايو 1974 والثانية التى سوف ننشرها فى الأسبوع القادم كانت بتاريخ 7 أغسطس من نفس العام.

وقد خشى الرئيس السادات أن يصل سوء التفاهم وانعدام الحوار إلى منطقة لا عودة منها. وقد نبهه إلى ذلك. وفى نفس الوقت قد صارحه بقوله: يجب أن نقول لأنفسنا وللآخرين وبشجاعة الرجال إننا فى حاجة إلى المزيد من الحوار نستجلى فيه ونستوضح..

ولكن لا وضوح مع القذافى، لأنه لا حوار. لأنه يلعب بالنار.. أو لأنه هو النار التى يلعب بها الآخرون الأقوى والأخطر والأكثر طمعا فى التوسع على حساب مصر..

ونحن للمرة الثانية نستأذن القارئ، فى أن نقطع تسلسل أوراق الرئيس السادات. المرة الأولى عندما روى لنا الرئيس السادات ثورة يوليو ومقدماتها النفسية والاجتماعية والأبعاد الثورية فى تكوين الشخصى.

وهذه المرة بمناسبة الأحداث الخطيرة التى أعلن عنها الرئيس السادات فى سنة 1974 قبل وقوعها عندما قال للقذافى "يجب إيقاف الحملات الإعلامية الموجهة ضد كل الدول العربية احتفاظا بوحدة العمل التى تحققت خلال انتصارات أكتوبر".

ولكن القذافى لم يفعل ويبدو أنه لن يفعل!.

بسم الله الرحمن الرحم

الإخوة رئيس وأعضاء مجلس قيادة الثورة

تحية طيبة وبعد ،

لقد اطلعت على الرسائل التى تلقيتها منكم فى الشهور الأخيرة شفوية كانت أو مكتوبة، وتأملت المناقشات التى دارت بينى وبين من التقيت به منكم فى القاهرة..

ولقد فكرت فى أول الأمر أن أناقش النقاط التى أثرت من جانبكم بالتفصيل. حرصا على أن تكون مواقفنا بالنسبة لكم واضحة، وجريا على السياسة التى اتبعتها معكم دائما فى المصارحة.

على أننى وجدت بعد تأمل دقيق لكل تطورات الأحداث بيننا. أن علاقتنا وصلت إلى مرحلة حساسة. صارت تتجاوز الكثير من الأمور التفصيلية التى كانت ترد فى رسائلكم أو أسمعها منكم وشعرت أن كل هذه الأمور التفصيلية يمكن على وجه اليقين معالجتها والتغلب عليها، لو أننا – قبل ذلك – واجهنا بصراحة مواطن الخلاف والاتفاق الجوهرية بيننا.

إننا فى هذه المرحلة التاريخية، نقدم أسمى خدمة للعلاقات المصرية الليبية، ولهدف الوحدة، لو أننا وضعنا أيدينا على أصول الخلافات بيننا وليس على مظاهرها.

إن علاج هذه المظاهر أمر هين جداً، إذا توصلنا إلى أرضية مشتركة نستطيع أن نتفاهم عليها، تقوم على أساس من المصارحة الكاملة مع النفس، والتعامل الموضوعى، مع الحقائق.

وما لو نوضح لأنفسنا تماما، بكل صراحة المسئولية وأمانتها ما هى مواقفنا الأساسية بالضبط فى هذه المرحلة، فسوف تظهر دائما هذه المشاكل الفرعية، وتطفو على السطح، وسوف يستغلها المستغلون، الأمر الذى يجنى فى النهاية على ما يجب أن يكون بيننا من علاقات علينا أن نحميها دائما من هذه المؤثرات السلبية.

ولن أستطرد هنا فى ذكر تفاصيل وضرب أمثلة عن حرصى على العلاقات الخاصة بيننا والتى تستهدف أسمى الإنجازات السياسية وهى الوحدة.. ولكن يكفى أن أسجل مظهرا واحداً من مظاهر هذا الحرص، وهو أننا هنا فى مصر قد سكتنا طويلا عن ذلك الانطباع العام الذى تتركه تصرفاتكم وأقوالكم. وأقول بعض من يريدون الانتفاع منكم. الانطباع العام بأننا نحن المترددون فى قضية الوحدة. وأننا نحن المتخاذلون فى قضية التحرير. تركنا هذا الانطباع العام طويلا، متحملين فى ذلك الكثير مؤثرين عدم استخدام حقنا المشروع فى شرح الأمور للرأى العام من وجهة نظرنا.

علما منا بأن هذا قد يؤدى إلى تصعيد المشاكل، أو الوصول بالخلافات إلى نقطة اللاعودة، الأمر الذى لا يفرح له إلا أعداء الوحدة الكثيرون، والذى قد تكون له عواقب لا يمكن السيطرة عليها. من أجل هذا كله رأيت أن أتجاوز فى ردى هذا عن التفاصيل التى قلت أن علاجها سهل، مؤثرا أن نواجه مباشرة جوهر القضايا التى تعترضنا.

أولا: الموقف من الوحدة:

لعلكم تذكرون جيدا أن الرئيس جمال عبد الناصر قد لاقي ربه، وكانت آخر قناعاته حول هذه القضية هى تأجيل بحث فى إنجاز الوحدة فى صيغتها الكاملة أو ما تطلقون عليه الوحدة الاندماجية حتى تنتهى المعركة. وكان الرئيس جمال عبد الناصر الذى ضحى بما ضحى فى سبيل رفع شعار الوحدة وتربية الجماهير العربية عليه، يصدر فى ذلك عن تجربة طويلة علمته أن الوحدة عمل شاق يحتاج إلى جهود كبيرة. وأنه من طبيعته أن يثير قضايا كثيرة يمكن أن تشغله عن التركيز على مواجهة قضية الاحتلال الإسرائيلى. فضلا عن أن كل وحدة عربية لا يلبث أن ينبت لها خصوم كثيرون يتآمرون عليها، الأمر الذى يؤدى على فتح جبهات ليس أوانها مرحلة نواجه فيها هذا الصراع المصرى.

كانت تلك قناعة الرئيس عبد الناصر.. ولست فى حاجة إلى أن أحدثكم لا عن إيمانه بقضية الوحدة. وما ضحى به من أجلها ولا عن عاطفته القوية نحو ثورتكم وقيادتكم وكل الشعب الليبى.

وقد ترتب على هذا، وحتى لا يتوقف العمل من أجل هذه الوحدة الأسمى. عقد اتفاقية للتكامل الاقتصادى بين البلدين فى سنة 1970، لو أنها أخذت طريقها إلى التنفيذ لكانت قد أنجزت فى السنوات الأربع الماضية الكثير، ولكانت قد وصلت بالعلاقات بين البلدين إلى وضع أقرب إلى الوحدة الشاملة المرجوة.. ولكن هذه الاتفاقية لم ينفذ منها سطر واحد مع الأسف.

وبالرغم من هذه الخلفية فإننى منذ أن تسلمت مسئولية الرئاسة فى أحرج ظروف مرت بها بلادنا، بذلت كل جهدى فى الالتقاء برغبتكم التى كنتم تعبرون عنها دائما فى ضرورة الإسراع فى انجاز الوحدة.

جلود وصل فجأة.. لإعلان الوحدة

ولست فى حاجة إلى أن أسرد هنا كل مراحل الأحاديث والمباحثات والدراسات التى جرت حول هذه القضية، والتى كان لديكم من يجب أن يصف مواقفنا فيها بعدم الجدية ولكننى أحب أن أسجل أننى كنت دائما على يقين، ومن واقع تجاربنا الوحدوية، أن أسلوب إعلان الوحدة المتعجل بغير دراسات واتفاقات أساسية هو أسلوب خطر على الوحدة. وكانت وجهة نظرى أن الوحدة فى حقيقتها ليست مجرد توقيعات منا ومنكم إذ أن ذلك لا يجوز أن يكون إلا بعد إقرار الشكل النهائى لما يستقر عليه الشعبان المصرى والليبى بشأن الوحدة وذلك من خلال مناقشات حرة تتم فى كلا البلدين على كل المستويات وفى كل المؤسسات الشعبية. وبعد كل الدراسات الموضوعية اللازمة كأساس للوحدة من نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاستراتيجية. أن عدم الجدية إنما هو فى تصورى أن الوحدة يمكن أن تتم بارتجال وبغير دراسات.

أن وصول الأخ عبد السلام جلود إلى مصر فجأة وبدون سابق إنذار فجر يوم 23 يوليو 1973 مطالبا بإعلان الوحدة فى نفس اليوم. لإعلانها فى خطاب العقيد. هو موقف غير جدى.

وأن وصول الأخ معمر إلى مصر فجأة وأنا غائب عن البلاد فى رحلة إلى سوريا. أيضا ليعرض على أن نوقع معا إعلان بقيام الوحدة. هو أيضا موقف غير جدى. بل أكاد أقول إنه موقف مسرحى.

وقد حذرناكم من مخاطر هذا الأسلوب مرارا. وكنا مع ذلك نواجهه بمحاولة العودة إلى بحث الأمور بشكل جدى والوصول إلى صيغة مناسبة. وكنا أحيانا نصل إى صيغة أو أخرى ثم نفاجأ برفضكم لها، الأمر الذى يجعلنا وبحق أن نتساءل نحن عن مدى جديتكم فى طرح قضية الوحدة، وهل طرحها بهذا الشكل يستهدف حقا إنجاز الوحدة، أم يستهدف شيئا آخر هو فى أبسط الحالات إثارة الخلافات وخلق العقد بين الشعبين المصرى والليبى واتخاذ الموضوع كله قضية إعلامية ومدخلا لشن الحملات علينا.

ومع ذلك، لم نكن نيأس. وحتى بعد قصة المسيرة التى تنصلتم منها عبثا، وما خلقته من أجواء.. أرسلنا إليكم وفدا من كبار مسئولينا ليتم التفاهم والحوار معكم. ولكن لم يكن هناك أغرب أو أعجب من الحلول المقترحة منكم والتى حملها وفدنا عند عودته إلى القاهرة.

لقد اقترحتم كأحد الحلول أن نأخذ بكل ما هو موجود فى ليبيا وكل ما هو موجود فى مصر، وكان رأيى أن هذا الاقتراح بعيد عن إمكانية التطبيق العملى. ففى مصر دولة مؤسسات يمارس من خلالها الشعب المصرى نشاطه الشعبى والتنفيذى. وهو وضع انتهى بمصر إلى استقرار سياسى ذى طابع تقدمى.. وفى ليبيا لجان شعبية لم تصل بعد إلى الصورة النهائية لهيكل السلطة الشعبية أو النظام السياسى. واقترحتم كحل بديل – وفى غمرة حماس عاطفى – أن ترسلوا فى ورقة بيضاء موقعا عليها منكم

تكتب فيها مصر – على حد قولكم – ما تريده. ولم يكن فى وسعى أن أقبل بهذا الاقتراح لأن الشعب الليبى لا يتقرر مصيره بشيك على بياض. أو لأن مصر ترفض إظهارها فى صورة من تفرض شروطها على شعب شقيق.

ثم اقترحتم كبديل ثالث صورة تحمل معنى التحكيم بين الشعبين المصرى والليبى بأن يستفتى الشعبان على الاختيار بين مشروعين. يقدم كل منا أحدهما.. واقترحتم أن يشرف على الاستفتاء أناس محايدون. هم على حد قول العقيد "الأمم المتحدة"، أو طلبة الجامعات وتلاميذ المدارس الثانوية، أو ضباط صغار غير بورجوازيين أو فلاحون، أو القوى المعارضة.

وكان رأينا عدم سلامة هذا الأسلوب، الذى يعطى صورة التنافس بين رأى مصرى ورأى ليبى، وقد يكون بداية سلسلة من التعصبات ذات الطابع الشعوبى التى لا تتفق مع روح الوحدة وكان رأينا أن التحكيم هو أمر يقع بين الأعداء والمتخاصمين وليس بين الأشقاء طلاب الوحدة.

كما أننى أرى دور للأمم المتحدة فى تنظيم شئوننا الداخلية.

ولقد كانت قمة دهشتى لاقتراحكم أن يترك التحكيم والإشراف على هذا النوع من الاستفتاء لقوى المعارضة، فإننى لا أتصور أن نترك التحكيم لأعداء الثورة ونخاطر بكل المكتسبات الشعبية.

اقتراحات عملية قدمناها

ورغم أن المعركة كانت قد صارت على الأبواب فعلا، فقد أردت ألا ينقطع خيط البحث فى إقامة الوحدة، فأرسلت إلى الأخ معمر القذافى فى 17 رجب 1393 هـ (16 أغسطس 1973) خطابا طويلا قلت له فيه: "إننى أريد كما عودتك دائما أن أفتح لك قلبى وأطلعك على دقائق فكرى، لكى نجد معا طريقا واحدا نسلكه.. أننا فى حاجة إلى مناقشات كثيرة لكى نستجلى ونستوضح شيئا وقع ولا فائدة من انكاره. وقد نسميه خطأ فى الفهم المتبادل للنوايا وقد نسميه قصورا فى استقراء معانى التصرفات،

ولكن مهما كان الاسم الذى نختاره فإن شيئا وقع، ولست الآن فى مجال تحديد المسئولية عنه، وإنما يعنينى بالدرجة الأولى تجاوزه، وتجاوزه بطريقة بناءة وهادفة".

وفى هذا الخطاب اقترحت مخلصا على الأخ معمر أحد اختيارين هما بالحرف الواحد:

الأول: أن نقول لأنفسنا وللآخرين وبشجاعة الرجال أننا فى حاجة إلى مزيد من الحوار نستجلى فيه ونستوضح، مع استمرار عملنا المشترك داخل القيادة السياسية الموحدة، ونعلن ذلك بأنفسنا فى بلاغ مشترك نحدد به لأنفسنا فسحة الوقت التى نطلبها.

الثانى: أن نعلن اتفاقنا على مشروع البيان المعد للصدور عن القيادة السياسية الموحدة إلى الشعب العربى فى جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية الليبية وعلى مشروع القرار المعد للصدور تحت رقم 9 من القيادة السياسية الموحدة فى شأن الإعلان الدستورى للوحدة بين مصر وليبيا.

ولما لم تجد هذه الاقتراحات آذانا صاغية، والتقيت بالأخ معمر بعد ذلك حين جاء فجأة إلى القاهرة فى أواخر أغسطس 1973 ثم فى مؤتمر عدم الانحياز فى الجزائر، وكنا قد وصلنا إلى منتصف سبتمبر 1973، لم يمنعنى علمى بأن مصر وقواتها المسلحة ستواجه أخطر امتحان مصيرى بعد أسابيع من أن أطرح عليه اقتراحا عمليا على طريق الوحدة، وافق الأخ معمر عليه، وبدأنا نستعد عمليا له، لولا أنه لم يلبث حين عاد إلى طرابلس أن غير رأيه ورفض ما كان قد وافق عليه.

إنشاء محافظة وحدوية فى طبرق

كان الاقتراح، كما لابد يذكر كل الأخوة، أن نقطع دابر حملة التشكيك فى الوحدة بعد أن تعذر إعلانها فى موعدها بإجراء عملى وحدوى، أن لم يكن هو الهدف النهائى فهو خطوة تجسد تصميمنا الفعلى على تحقيق ما عاهدنا الأمة عليه.. وذلك بأن نجتمع فى طبرق فى 20 سبتمبر 1973 ونعلن عن إنشاء محافظة جديدة تكون أول محافظة وحدودية تضم قطعة من أرض مصر وقطعة من أرض ليبيا فى إطار إدارى

واحد. وأن نقيم فى داخل هذه المحافظة الواحدة منطقة حرة تكون وعاء فى المراحل الأولى لترتيب المصالح المشتركة بين البلدين حفاظا على مصالح ليبيا بالذات، وأن يقترن هذا باجتماع الجمعية التأسيسية المصرية الليبية المكلفة بوضع دستور الوحدة وبحضورنا معا. ونحدد لها زمنا لإنجاز هذا الدستور ويوما لاستفتاء عليه.

واقترحت فوق ذلك أن يقترن هذا الاجتماع والإعلان من طبرق بعرض عسكرى من قوات البلدين البرية والجوية والبحرية تأكيدا لأبعاد الوحدة التى نريد أن نرسى بناءها. ولكن الأخ معمر كتب لى فى 11 سبتمبر اشرح له الفكرة من جديد، وأسجل أننا ما زلنا مستعدين لها، وشرحت له أن المحافظة الجديدة غير المنطقة الحرة. فالمحافظة الجديدة مولود وحدوى فى حين أن المنطقة الحرة هى مجرد ترتيب لمصالح متوافقة بصرف النظر عن الوحدة، وختمت رسالتى قائلا له، رجائى شخصيا أن تزيل عنك أى شكوك.. فإننى أشعر أن هذه الشكوك تساورك من وقت لآخر ولا أرى مبررا لذلك".

ولا أعرف إذا كان الإخوة يعرفون أم لا أننى بعد اتفاقى على هذا الاقتراح مع الأخ معمر، بدأنا عندنا فى مصر نستعد للتنفيذ.ز وكان من بين المشاكل الصعبة أن نوفر قوات برية وجوية وبحرية تشترك فى العرض فى طبرق، دون أن يؤثر هذا على المجهود الضخم الذى كنا نبذله فى صمت لاقتحام القناة وتدمير خط بارليف وزج الشعب كله فى المعركة بعد عشرين يوما بالضبط من خطابى الأخير إلى الأخ معمر حول هذا الموضوع.. وبذلنا جهودا جبارة لكى نستخدم فى هذا الاستعراض قوات من المتاحة لنا فى المنطقة القريبة من المكان الذى اقترحته لهذا الاستعراض ولإعلان الخطوات الأخرى على طريق الوحدة.

مواجهة صريحة لجوهر المشاكل

أن استعدادنا لهذا كله، فى هذا التوقيت الحرج بالذات هو المثل الذى اكتفى بضربه هنا على جديتنا المطلقة فى قضية الوحدة، ورفضكم المستمر لكل اقتراح عملى مدروس هو دليل عدم الجدية.

ثم ماذا كنا نجد أمامنا من جانبكم.. وأنا أطرح هذا السؤال بكل أمانة المسئولية وروح الأخوة والإصرار على أنه آن الأوان لأن نواجه جوهر المشاكل دون قشورها..

1. كنا نجد دائما ميلا منكم الى سياسة إعلان الوحدة فجأة وبدون مقدمات. وبمجرد تفاهم شخصى بيننا. فإذا أردنا أن نأخذ الأمور بالدراسة. كنا نشعر أن يسبب لكم صدمة أو تعتبرونه موقفا سلبيا. كما يظهر من الأمثلة القليلة التى سردتها.

إنه يجب أن يستقر فى أذهاننا أن أسلوب إعلان الوحدة بغير دراسات واتفاقات أساسية، أسلوب خطر. أننى أقول بصراحة إنى لست مؤمنا بسياسة رفع اللافتات. أن اللافتة إذا لم تعبر عن شئ موجود ومدروس لا تلبث أن تخيب أمل الجماهير وتؤدى إلى ردود فعل سلبية. كما أن هذا يجعل العالم يشعر نحونا بعدم الجدية التى يجب أن نأخذ بها أمورنا. وليس سرا أنه بعد إعلانات وحدوية كثيرة هنا وهناك فى مناسبات شئ صار العالم يتوقع مع إعلان كل وحدة نهايتها. ثم ان الثقة الشخصية مهما تدعمت بين القادة إلا أنها لا تكفى أساسا لأخطر القرارات السياسية فى حياة أى شعب وهى الوحدة والاندماج.. وشعب مصر بالذات خاض هذه التجربة بأشكال شتى ودفع ثمنا غاليا. وصار يشعر رغم إيمانه بالوحدة أن من حقه على قادته أن يقيموها على أسس أكثر صلابة.

2. ويتفرع عن هذا أننا نعتقد أنه لا يجوز الخلط بين المبدأ وبين الأساليب السليمة الموصلة إليه. وهنا أيضا كنا نجد مسافة بين تفكيرنا وتفكيركم. أن الاتفاق على المبدأ لا يغنى عن التمعن فى دراسة الوسائل التى تحققه والاهتمام بهذه الدراسات والخطوات العملية حتى تلك التى تنصب على اقتراح مشروعات معينة تربط بين البلدين لا يعنى

العدول عن المبدأ أو الرغبة فى تأجيل الوصول إلى الهدف ولا يجوز أن يتخذ هذا مدخلا للتشكيك فى صدق النوايا.

3. لقد كنا نشعر دائما من مجمل تصريحات العقيد، أو الذين يختارهم للتعبير عنه، أن هناك خطا مستمرا من تشكيك الرأى العام حول عقيدة مصر الوحدوية. وفى خلق إحساس عام بأننا نحن الرافضون للمبدأ. وقد تحملنا هذا كثيرا. وواجهنا حملات التشكيك بالصبر والهدوء حرصا على ألا نجعل من خلافاتنا مضغة فى أفواه خصوم الوحدة الحقيقيين والذين يعيشون على الخلافات العربية.

4. على أن أخطر من هذا كله، هو ما كنا نشعر به من أن العقيد كان يعمد دائما – وما زال – إلى أسلوب من الضغط والفرض لا أظن عاقلا يتوقع منا الخضوع له. وأسمح لنفسى هنا أن أقول أن هذا لم يعد شعورى وشعور المسئولين معى ولكنه صار الشعور السائد لدى الشعب المصرى. وهو أمر كاف لكى يزرع طريق الوحدة بالأشواك قبل أن نخطو فيه خطوة واحدة.

وهنا أحب أن أضرب بعض الأمثلة:

أ) قصة المسيرة المشهورة التى لا يمكن أن يفسرها الشعب المصرى فقط باندفاع الشعب الليبى المؤمن بالوحدة بعيدا عن درجة من التوجيه والتنسيق مع القيادات والسلطات الليبية. وفى تقديرى أن هناك من ضللوكم حول ردود فعل الشعب المصرى الذى وأن كان يكن للوحدة عاطفة شديدة ألا أنه لا يستسيغ أن يعالج الأمر معه على هذا النحو، على مرأى ومسمع من العالم أجمع.

ب) المثل الثانى هو ذلك اللقاء الذى تم فى القاهرة بين المسئولين فى بلدينا وفى حضور العقيد معمر وحضورى عندما عرض العقيد معمر أن تخصص ليبيا ألف مليون دينار على خمس سنوات لدفع الطاقة الإنتاجية لمصانعنا فى مصر. ولقد شكرته يومها على ذلك وألححت عليه أن يخفض هذا المبلغ إلى النصف.

وفى اليوم التالى فوجئت وزملائى فى الاجتماع بالأخ عبد السلام جلود يعيد طرح مطلب أن تلتزم مصر مسبقا ببعض منطلقات الثورة الليبية الجديدة وفى مقدمتها النظرية الثالثة والثورة الشعبية وكانت تلك أمورا ناقشناها من قبل.

إن أى مراقب محايد لا يمكن أن يستنتج من هذا الأسلوب إلا أن ليبيا كانت ترى فى الظروف الصعبة التى تمر بها مصر مناسبة للضغط عليها للقبول بأشياء معينة. أو أن ليبيا كانت ترى أن مصر مستعدة أن تلغى بعض قناعاتها ووجهات نظرها مقابل ثمن معين. ومن هنا كان رد فعلى الحاد يومها وقولى إننا يجب أن نعتبر كل ما بحثنا فيه منتهيا.

أن هذا الأسلوب فضلا عن أنه ليس الطريقة المثلى فى علاقات مثل تلك التى تربطنا والتى نريد أن نحرص عليها، كان الأخ معمر وسائر الإخوة لابد يعرفون أننا فى مصر دفعنا لنا غاليا لرفض المساعدات المشروطة، وخضنا من المعارك ما خضنا حتى نكسب حقنا بل وحق الأمة العربية كلها فى أن نختار نظم حياتها بملئ حريتها بعيدا عن عوامل الضغط والإغراء.

ولم تكن مشكلة مصر فى أى وقت من الأوقات منذ ثورة 23 يوليو 1952 هى عدم وجود موارد يمكن أن تحصل عليها، ولكن كان نضالها كله ألا يكون شئ من ذلك على حساب قناعاتا أو كرامتا. ولأننى أعرف أنكم أيضا تؤمنون بهذا وتناضلون من أجله، فإننى واثق أنكم سوف تفهمون نوع رد الفعل الذى يتولد لدينا إزاء مثل هذه الواقعة وما تثيره من شك فى النوايا.

ج) ولست أجد مفرا من أن أضع أيضا تحت بند الضغط والفرض ما واجهناه فى مباحثاتنا معكم دائما من إصرار على الأخذ فى مصر بمنطلقات واجتهادات أعلنها العقيد بمفرده فى ليبيا.

أفكار غريبة للعقيد

أن حقكم فى إعلان ما ترونه من منطلقات واجتهادات وإجراءات فى ليبيا أمر لا يجادل فيه إنسان. إنكم قادة ثورة ليبيا وأنتم المسئولون عن مسيرتها وأنتم الأدرى بما تحتاج إليه هذه المسيرة.

ولكن لاشك أنكم توافقونى على أن هذا لا يستتبع بالضرورة أن تلتزم مصر بهذه المبادرات والإجراءات التى لم تستشر فيها ولم تشترك فى مناقشاتها ولم تعلم بها إلا بعد إعلانها.

وأعود هنا إلى رسالة بعث بها إلى الأخ معمر حول هذا الموضوع قال فيها بالحرف الواحد.. "إن الشعب الليبى قبل الوضع المصرى من الألف إلى الياء بعد قيام ثورة الفاتح من سبتمبر، إنه قبل نشيدا مصريا صرفا (نشيد الله أكبر) وقبل العلم المصرى، وقبل الاتحاد الاشتراكى العربى وميثاقه ونظامه الأساسى، وقبل شعار (حرية اشتراكية وحدة) وقبل شعار مصر النسر ويقال إن ما هو ليبى مرفوض. لا نظرية ثالثة التى هى تفسير وإثراء للميثاق، ولا شريعة إسلامية لا لأن مصر ضد الإسلام ولكن لأن ليبيا أصدرت بعض قوانين الشريعة ولا ثورة شعبية لأن الشعب الليبى قام بها ولا ثورة إدارية مهما كانت ضرورية فى مصر لأن ليبيا أعلنتها، ولا اعتراف بمواقف هذا الشعب وجهوده التى يعتقد مخلصا أنها من أجل أمته.

إن رسالتى هذه لا تتسع لأن أسجل كل خواطرى حول هذه الفقرة من خطاب الأخ معمر، والتى كانت محورا للكثير من وجوه الخلاف وسوء الفهم.

أما عن عدم الاعتراف بمواقف الشعب الليبى وثورته فهو ظلم فادح لكل ما فعلته مصر وقالته ورددته على مسامع الدنيا من تمجيد لهذه الثورة منذ قامت.

وأما عن الفكرة السائدة فى هذا الخطاب من أنكم أخذتم من تجربة مصر أشياء وبالتالى على مصر أن تأخذ من تجربة ليبيا ما يقابلها. فلا أظن أن منطق المقايضة هو الذى يكن أن يكون أساس تعاملنا فى مثل هذه الأمور وحتى بهذا المنطق فإن العلم والنشيد والشارة لا تقاس – فى صعوبة الأخذ بها – بتراث ثورة عمرها أكثر من

عشرين عاما ، بمبادرتها وأفكارها ومؤسساتها.. أن تغيير العلم ليس فى صعوبة تغيير نظام حكم بأكمله.. وقد سبقت مصر إلى تغيير علمها من أجل الوحدة فى تجربة سابقة دون أى غضاضة.

وأما عن تبنيكم لمبادئ ثورة 23 يوليو ومواثيقها فقد كان هذا أمرا قررتموه بمحض إرادتكم واختياركم الحر وقد قررتم هذا بعد سبعة عشر عاما أو تزيد من بدء تجربة ثورة 23 يوليو، أى بعد فترة كانت مبادئها وممارستها معروضة بكاملها أمامكم عبر مرحلة زمنية طويلة كانت هذه التجربة الثورية خلالها تتبلور وتتطور وتتعرض للامتحان تلو الامتحان.

يضاف إلى هذا أن مواثيق ثورة 23 يوليو كما لا شك تعرفون، مرت كل منها بمراحل من المناقشة الواسعة من لجان تحضيرية إلى مؤتمرات وطنية إلى استفتاءات شعبية وأسفرت عن نظم ومؤسسات ودساتير وقوانين مرت بدورها بهذه المراحل.

وليس متصورا بعد ذلك أن يتقبل الشعب أو أن تتقبل التجربة العدول عن أسسها فجأة وبإعلان للوحدة.

وأحب أن أقول بصراحة إننا لسنا نرى ما ترون من أن النظرية الثالثة والثورة الشعبية وغيرها هى مجرد تفسير للميثاق كما جاء فى رسالة الأخ معمر، على الأقل فيما يتعلق بتجربتنا وظروفنا فى القطر المصرى.

إننا لا نصادر على حق أحد فى أن يقيم التجربة المصرية ويفسرها كما يشاء. ولكنه ليس من المنطق على وجه اليقين أن نطلب هذا الحق من البلد الذى جرت فيه هذه التجربة ومن الذين عايشوها وشاركوا فى صياغتها، وأن تفرض على هذا الشعب اجتهادات لا يراها متسقة مع منطلقات ثورته، وفوق ذلك لم يشارك فى مناقشاتها ولا صياغتها، وأن يكون الخضوع لها شرطا أساسيا للوحدة.

أما عن الشريعة الإسلامية فدستورنا ينص على أنها مصدر أساسى للتشريع. وليس هناك خلاف على مبدأ الأخذ بالشريعة الإسلامية ولكن القضية عبر أربعة عشر

قرنا من تاريخ الإسلام كانت هى اجتهادات المفسرين للشريعة فى كل عصر. وكان من علامات عصور الاضمحلال خضوع هذه التفسيرات لمفاهيم أصحاب السلطة السياسية.

ومع هذا كله. فكيف يستقيم هذا التصور لرفضنا للحوار ورفضنا لكل ما هو ليبى مع ما قبلناه من تكوين جمعية تأسيسية تضع دستور دولة الوحدة، وقبلنا أن يكون التمثيل فيها مناصفة بين القطرين رغم المسافة الشاسعة بين عدد السكان فى كل منهما. أليس هذا معناه أننا قبلنا أن تعطى الرأى الليبى فى صياغة هذا الدستور نفس الوزن الذى للرأى المصرى تماما، وفى مجال وضع دستور هو بطبيعته أبو القوانين كلها؟

قد جاء فى حوار الأخ معمر مع وفدنا خلال المباحثات التى أشرت إليها ما نصه "أننى فى النهاية سأكفر وأغير علم ليبيا" وأغير النشيد وأعود للعلم القديم وللنشيد الليبى، وأتحول عن شعار الحرية والاشتراكية والوحدة، وأغير كل ما أخذناه من مصر، وأعيد النظر فى كل شئ، وأرفض الميثاق وأعمل ميثاقا ليبيا وأغير الاتحاد الاشتراكى وأعمل اللجان الشعبية".

وتعليقى أن العقيد قد خرج فعلا عن الميثاق وعن الاتحاد الاشتراكى وعن مضمون شعار الحرية والاشتراكية والوحدة.

أما تغيير العلم والنشيد من موقع السلطة فهى أمور شكلية وستلقى استجابة طبعا من كل العناصر المضادة. ولكم الحرية فى اتخاذ ما ترون.

لقد تحدثت عن هذه الأمور المتعلقة بالوحدة بهذه الصراحة لأنه آن الآوان أن تكون مواقفنا ومفاهيمنا محددة واضحة لكلينا بشكل قاطع. لأن هذا الوضوح هو نقطة الانطلاق الوحيدة إلى الفهم المتبادل وإلى الوصول إلى الوحدة من خلال التفاعل وليس من خلال الصراع الذى لابد أن يؤدى إلى نكسة أخرى لمبدأ الحدة ذاته.

ثانيا: الموقف من المعركة

كانت الظروف التى أحاطت بحرب أكتوبر من أقسى الامتحانات التى مرت بها علاقاتنا معكم، إن لم يكن أقساها جميعا.

فقبل المعركة، كنت لا استشعر منكم إلا التشكيك فى جدية تصميمنا على القتال، رغم أنكم لم تكونوا بعيدين عن معرفة الكثير من جهودنا الجبارة من أجل تجميع الأسلحة والمعدات المطلوبة للقتال، وما كنا نتجشمه فى هذا السبيل. وعلى سبيل المثال لا الحصر، وبغير استشهاد بأحاديث شفوية بيننا، أضرب أمثلة من بعض البرقيات الرمزية التى أرسلتها إليكم، ناطقة بعزمنا الأكيد على المعركة.

برقية رمزية منى إلى العقيد فى 73/2/27 تقول:

"لقد وضعنا خططنا، وستنفذ فى الوقت المناسب من مصر وسوريا – أما حكاية لها بابين فى رسالتكم فليس لى إلا رد واحد هو "سامحك الله".

وكان ذلك ردا على رسالة يطالب فيها العقيد بأن يقوم بالعمل ردا على حادث الطائرة الليبية وأنه يخاف على مصر التى يراها وكأنها معزولة وبها بابان – باب تغازل منه العدو وباب تغازل منه الرجعية.

برقية رمزية منى إلى العقيد فى 73/3/15 تقول "لا زلت يا ابو منيار على وعدى فى الوقت المعلوم. "سامحك الله".

وكان ذلك أيضا ردا على رسالة حول حادث الطائرة قال فيها العقيد أنه يفكر فى العمل بمفرده إذا لم يتمكن فليس له إلا أن يقول أن الله سبحانه وتعالى مع اليهود.

خطاب منى فى مارس 1973 إلى العقيد يقول: "إننى مقبل على تغييرات واسعة فى أوضاعنا الداخلية هى فى رأيى جزء من استعدادنا للمعركة والترتيب لها ومن بين هذه التغيرات أننى قررت أن أرأس الوزارة بنفسى لكى تكون هناك وحدة كاملة فى القرار السياسى والعسكرى على مستوى التخطيط والتنفيذ.

وفى رسالة ثانية تالية قلت: "إن أمامى فى الأسابيع القليلة القادمة معركة مصيرية بدأ العد التنازلى فى توقيتها فعلا".

ولكن هذا كله، وغيره كثير، لم يجد شيئا فى تغيير نغمة التشكيك لديكم.

بل لقد وصل هذا التشكيك – وأكاد أقول التخريب – إلى مرحلة غريبة حين وقف العقيد ولديه هذه المعلومات التى كان يجب احترام سريتها على الأقل – وألقى خطابا علنيا قبل المعركة بأسابيع يعلن فيه تبرؤه من خطط المعركة التى تعدها سوريا ومصر، ويتنبأ بالكارثة، ولست فى حاجة إلى شرح أثر مثل هذا الخطاب العلنى، من رئيس عربى يعرف الجميع علاقته الحميمة بنا، على الروح المعنوية للجنود والضباط الذين كانوا يتهيأون للقتال.

تشكك حتى بعد القتال

على أن الأعجب والأخطر. هو ما حدث بعد أن بدأ القتال فعلا. وثبت أن الأمر جد لا هزل فيه. وأن شعب سوريا وشعب مصر وقياداتهما قد وضعت كل مقدراتهما فى كف القتال. فبينما كان جنودنا يقتحمون القناة ويحطمون خط بارليف ويستهشدون فى بسالة.. ألقى العقيد معمر خطابا علنيا آخر يعلن فيه تشككه وعدم موافقته، ويتنبأ مرة أخرى بالكارثة ويقول إنه لن يدعم المعركة إلا بالمال. ثم أخذ الأعلام الليبى العلنى خطا مشابها مستمرا. بل كانت الإذاعة الليبية تردد بعض ما يذيعه راديو إسرائيل. ولقد ثبت لنا أن التوجيهات كانت ترسل من العقيد شخصيا إلى الإذاعة.

لقد استمع جنودنا وضباطنا خلال القتال إلى هذه الإذاعات وتركت فى نفوسهم أثرا داميا كنت أتصور أن العقيد سوف يضعه فى حسابه، وهناك رجال يسفكون دماءهم ويستشهدون. ولعله أن يقدر تأثير هذا على رصيده لدى الشعب المصرى. ذلك الرصيد الذى عملنا منذ يوم الفاتح من سبتمبر على تدعيمه.

ومرة أخرى، أقول إنه كان من حقكم أن يكون لكم اجتهادكم ووجهة نظركم. وكان من حقنا ونحن الذين سنبذلك الدم فى النهاية أن تكون لنا تقديراتنا وحساباتنا وألا نتفق معكم فى حكاية القتال ولو بالطوب والحجارة لأن فى هذا من اليأس وعدم المنطق أكثر مما فيه من الإيمان بالنفس والحسابات الواقعية، ولكنى كنت أتصور أن يكون هذا كله حوارا داخليا بيننا، وكان فى إمكانكم أن تسجلوا رأيكم للتاريخ، فى أى وثائق أو

مراسلات تريدونها، إلا أن يكون موضوع الحرب – أخطر الموضوعات جميعا – وفى يوم الحرب ذاتها، محل مساجلات علنية على موجات الإذاعة. ولا أظن أن لهذا التصرف سابقا فى التاريخ كله حتى بين أى دولتين حليفتين. ومع ذلك فقد أذيعت هذه الخطبة من إذاعة صوت العرب فى القاهرة بناء على طلب العقيد، وكان لها وقع الصاعقة على الشعب المصرى.

فلما أعلن وقف إطلاق النار، بعد ملحمة بطولية رائعة، وبعد أن صرنا وصار العالم العربى كله فى وضع أقوى بكثير تجددت الحملة الإعلامية الصارخة مطالبة بالاستمرار فى القتال مهما كان الثمن، مرة أخرى فى تصور غريب أن بدء القتال وأسلوبه أمور تدار على موجات الإذاعة من بعيد، ودون محاولة لفهم تفكيرنا ودوافعنا والظروف الكثيرة المعقدة المحيطة بأى معركة، وتأكيدنا أن ما أنجزناه هى مرحلة وليس نهاية الطريق.

حقيقة المساعدات المالية والعسكرية

أما عن المساعدات المالية والعسكرية فنحن أولا كنا نضع ليبيا دائما فى مقدمة الدول التى نشيد بدعمها لنا فى السنوات الصعبة وسنظل دائما مها حدث بيننا على طبيعتنا التى لا تعرف الجحود.

ونحن ثانيا كنا لا نطلب من أى بلد عربى أن يقدم للمعركة إلا ما هو مستعد لتقديمه، دون أى شبهة من ضغط أو إحراج بأى صورة. من الصور. وكنا نضع فى اعتبارنا دائما أن علينا أن نكون مستعدين للاعتماد على أنفسنا ولمواجهة القتال بما فى أيدينا.

وفيما يتعلق بليبيا فى هذا المجال، كنت قد قلت أنى أطلب من ليبيا، وقد اقتربت المعركة، عدة أمور من بينها:

أولا: تجهيز ميناء طبرق لكى يكون بديلا للإسكندرية ومساعدا لها.

ثانيا: التعاقد مع إحدى الدول الغربية على قطع الغيار والمعدات الأرضية لعدد من الطائرات، لأنها بدون هذه المعدات تصبح لا قيمة لها فى القتال. وكان العقد جاهزا فى يناير 1973 ولابد من دفع ثمنه حتى تصل هذه المعدات بعد ستة شهور.

ثالثا: التعهد بتزويدنا بأربعة ملايين طن بترول على مدار السنة من بدء القتال لأننا ساعة المعركة سنغلق كل ما لدينا من آبار ولأنه لا يمكن تخزين هذه الكميات قبل المعركة.

أما بالنسبة لميناء طبرق فإننى أسجل أننا قد حصلنا على كافة التسهيلات التى كنا نتوقعها، وأنه لعب دوراً هاما بالنسبة لنا خلال المعركة، وأثبت قيمة توافر العمق الاستراتيجى بالنسبة للحاضر والمستقبل.

وأما بالنسبة لمعدات الطائرات فقد حدث تلكؤ فى الدفع حتى يونيو 1973. وكنا نسمع همسا أن الحجة هى عدم جديتنا فى المعركة. وحين أزفت الساعة كان علينا أن نستعين بالمملكة العربية السعودية لتعجل بشراء هذه الأدوات. وقد دفعت المملكة العربية السعودية مشكورة بالفعل ثمن هذه المعدات التى من المضحك أن ليبيا حصلت على أجزاء منها. وأما بالنسبة لبترول، فقد بدأ شحن البترول حقا، ولكن ما أن توقف إطلاق النار حتى أعيدت لنا الناقلات خالية، بمنطق أنه ما دام القتال قد توقف فلا داعى لإرسال البترول، ولم يصلنا بالتالى من الأربعة ملايين طن سوى 800 ألف طن الأمر الذى أدى إلى التأثير على حساباتنا فى التخطيط للمعركة.

كان هذا حتى قبل تنفيذ الفصل بين القوات، وعلى غرب القناة قوة إسرائيلية تحيط بها قواتنا واحتمالات تجدد القتال تكاد تكون هى المؤكدة، ونحن نجمع من أنحاء العالم الأسلحة والمعدات من أجل هذا الاحتمال.

وبنفس المنطق كنا قد طلبنا خلال المعركة مساعدتنا بشراء 750.000 طن بوتاجاز وتلقينا وعدكم بذلك، ثم تلقينا أنكم لن ترسلوا شيئا منه لأن إطلاق النار قد توقف.

ومرة أخرى تطوعت الجزائر فى تلك اللحظات برفع هديتها لنا من البترول من مليون إلى 2 مليون طن، وتطوعت بشراء البوتاجاز المطلوب لنا من إيطاليا.

أكثر من ذلك أن قسطى الدعم المالى المقررين منذ مؤتمر الخرطوم واللذين حلت مواعيدهما فى يناير وأبريل سنة 1974 لم يدفع منهما شئ إلى الآن، رغم تصريح رئيس الوزراء الليبى بعكس ذلك فى الصحف، قبل أن يضطر العقيد أمام الحقائق أن يعترف بالواقع.

وكانت ليبيا قد وعدتنا أيضا قبل المعركة بهدية 60 مليون دولار، ثم عدتم وقلتم أنكم ستدفعونها على قسطين، وبناء على هذا الوعد تعاقدنا على شراء مواد ضرورية لتسيير عجلة الحياة فى بلادنا التى ضحت بكل ما لديها من أجل عركة قرية من الدرجة الأولى. وبعد أن تعاقدنا فعلا، حجبتم تنفيذ الوعد. وقد أبلغتم وقتها أنه إذا كان هذا نوعا من الضغط فنحن لا نقبله. ولن يعجز شعبنا عن تدبير أموره، فدفعتم نصف المبلغ.

حقيقة محزنة لكل عربى

(وقف المساعدات)

إنه ليحز فى نفسى أن أسجل هنا أن ليبيا كانت الدولة العربية الوحيدة، التى أوقفت مساعداتها التى تعهدت بها على هذا النحو بمجرد وقف إطلاق النار، والقوات الإسرائيلية ما زالت تواجه قواتنا غرب القناة، وكان هذا هو نهاية الطريق، بينما ما تزال كل الدول العربية الأخرى تنفذ ما وعدت به، بل ومنها من فاجأنا بمزيد من الدعم الذى لم نطلبه أو لم نكن نتوقعه.

إنه من الصعب هنا أن أشرح كل أبعاد المعركة فى وضعها الراهن. المعركة التى ما زلنا فى غمرتها بجبهاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية. ولكنى أحب أن أقول كلمة عامة حول التصور اللازم فى مثل هذه الأمور المصيرية.

لقد كان الجو السائد فى العالم العربى قبل يوم 6 أكتوبر هو جو اليأس من جهة وجو الحيرة فى محاولة البحث عن أول الطريق من جهة أخرى. بل كنا لا نسمع من

كل من يحدثنا إلا التحذير من المغامرة. ونحن اليوم لا نقول أننا حققنا للأمة العربية نصرها الكامل ولا نقول أننا نتصرف على أساس أن المعركة قد انتهت ولكن من حقنا أن نقول أننا قد قضينا على جو اليأس الذى كان سائدا من جهة، وأننا بالدم الذى بذلناه، قد كسرنا الوهم وبدلنا الموازين وعثرنا على أول الطريق.

ولكن بعض الذين كانوا يشفقون علينا من أى معركة انقلبوا بين يوم وليلة إلى موقف الاستخفاف بتعقيدات الموقف والاستهانة بمعنى القتال والنصر، وإزاء عدو يجد من يزوده ساعة القتال بأحدث الأسلحة، حاملا إياها إليه وراء خط القتال مباشرة، بينما تعرفون أى جهد بذلنا ونبذل لتجميع الأسلحة وغيرها مما يضعنا فى مركز القوة ويضيف إلى ما يمكننا أن نحققه.

إننا مصممون على ألا نفقد عقولنا بسبب ما حققناه رغم اعتزازنا الكبير به، ونحن مصممون على أن نكون على يقظة تامة لكل متغيرات الظروف الدولية والمحلية وعلى ألا نترك سلاحا دون أن نستخدمه، للاستفادة من ثمار تضحياتنا ولتصعيد الضغط على العدو. ولكل سلاح عسكرى أو اقتصادى أو سياسى وقته وأسلوب استخدامه.

إن اقتحام القناة وتدمير خط بارليف ومعركة الثلاثة آلاف دبابة ومواجهة أول حرب الكترونية فى التاريخ لم يكن لهوا ولا عبثا. وما أدى إليه هذا من تغيير فى الواقع العربى لا ينكره إلا المكابرون.

وإنه ليؤسفنى أن أذكركم وأنتم العسكريون أن فن الحرب يعتمد فيما يعتمد على فن التوقيت، متى تهجم ومتى تضرب ومتى تكف. وفى كل ذلك تحدد أهدافك السياسية والعسكرية، التكتيكية والاستراتيجية.

إن عذر عمر القذافى الوحيد عندى أنه لم يمارس الحرب، ولم يعرف القتال، ذلك الامتحان العسير الذى عرفته مصر فى أربع حروب ضحت فيها بآلاف الشهداء.

نعم، لقد خاضت مصر إزاء الغزوة الصهيونية حتى الآن أربع حروب، وأن إصرارها على دخول هذه الحروب الأربع الواحدة تلو الأخرى لأكبر دليل على أن

مصر لا توقف القتال وأنها تعتبر نفسها فى مواجهات مستمرة لا تنتهى إلا بإجلاء العدو عن كل شبر من الأرض العربية وباسترداد كل الشعوب العربية حقوقها وفى مقدمتها شعب فلسطين.

بل لقد تحملت مصر مسئوليات جسيمة فى كل أنحاء الوطن العربى، فى العراق وفى اليمن وفى الجزائر وفى السودان وفى ليبيا، مستشعرة فى هذا واجبها القومى العربى كقلعة لكل العرب.

إن كل هذه الحروب، وفى فترات زمنية متقاربة فى التاريخ الحديث، كانت كفيلة بأن تنهك قوى أكبر الدول وأغناها، ولم تكن مصر تقف إلا لتستجمع قواها لمواصلة مسيرتها. وعلى هذا الأساس يجب النظر دائما إلى موقف مصر من قضايا التحرر العربى.

وأسجل هنا ما كررته للأخوة جميعا من أننى لا أطلب من ليبيا أن تربط نفسها بسياسة ترى فيها رأيا آخر. وكانت أخر مناسبة حين اعترض العقيد على موقفنا من رفع حظر البترول وكتبت له قائلا: إنه إذا لم يكن هذا رأيه فمن حقه أن يعار، ولكن الخلاف والحوار والتجربة فى هذه اللحظات المصيرية شئ، والحملات الإعلامية والتجريح والتنديد المتواصل شئ آخر.

إنكم راهنتم سنوات على شكوككم فى أنا لن نحارب ولكننا حاربنا، ثم راهنتم يوم انفجار القتال على أن إسرائيل ستدمر قواتنا فى أيام ولكننا صمدنا وحققنا وضعا أفضل. فلماذا التسرع بالمراهنة مرة ثالثة على أن خططنا منذ وقف إطلاق النار سوف تنتكس. وبمثل هذه الحدة والانفعال وبهذه الدعايات والحملات التى لا تنقطع؟ ..

مواقفنا من ثورة ليبيا

الإخوة أضاء مجلس الثورة:

إننى لست فى حاجة إلى التذكير بموقفنا المستمر من ثورة الفاتح من سبتمبر ومن الأخ معمر بالذات منذ اليوم الأول. فمنذ البداية كنا أول من قدم إليها الدعم الذى

أرادته سياسيا وعسكريا وإعلاميا. وكنا لا نترك مناسبة دون أن نشيد بهذه الثورة وبأنها طليعة جديدة من طلائع الأمة العربية قادرة على أن تساهم فى تجديد شبابها. ولم تطلب ليبيا خبرة مصرية من أى نوع إلا وأعطيناها أحسن ما عندنا منها، مهما كانت حاجة بلادنا إليها.

وفى نفس الوقت كنا حريصين على أن تقوم ثورتكم بدورها المأمول على أوسع نطاق. كنا نشجع ونعمل دائما على أن تكون لكم أحسن العلاقات بالبلاد العربية الشقيقة، وننصح بعدم فتح المعارك معها خدمة للمعركة واقتناعاً منا أن هذا هو الأسلوب الأمثل فى التأثير على السياسات العربية عن طريق إعطاء القدوة. وشجعنا ليبيا على أن تنفتح على أفريقيا وتقوم بدور رائد فيها، وقد أديتموه بنجاح، وآخر مثال على ذلك كان حين أخطرنا العقيد بأنه سيهاجم الدول الأفريقية التى لها علاقات بإسرائيل ويطالب بنقل منظمة الوحدة الأفريقية إلى القاهرة، فرجوناه أن يأخذ هذه الأمور بالصبر، وكنا نرى أن الموقف الأفريقى يتطور، وهى أمور لا تتم بين يوم وليلة، وقد أثمرت هذه السياسة ما رأيناه من وقوف أفريقيا معنا ساعة الحرب.

وما كنا نرى فيه رأيا غير رأيكم، كنا نحدثكم فيه حديث الأخوة، دون أن ننقله قط إلى موجات الإذاعة وصفحات الصحف كما تفعلون مع الأسف معنا.

رحبنا بالعقيد وحملاته مستمرة

وإننى لأعود بعد هذه الجولة إلى بعض أحداث الأمس القريب.

لقد اتصل بنا الأخ معمر بعد هذا كله وطلب ثلاثة طلبات: أن يحضر إلى القاهرة ويشارك فى حفل تكريم أبطال قواتنا المسلحة ويلقى كلمة فى الحفل.. وأن نذهب معا بعد ذلك إلى أداء العمرة ثم نواصل السفر معا إلى مؤتمر القمة الإسلامى فى لاهور.

وقد رحبت بهذا كله، وتم للأخ العقيد ما أراده.

وفى لقائنا طلبت منه إيقاف الحملات الإعلامية الموجهة منكم ليست ضدنا فقط ولكن ضد كافة الدول العربية – كما كنتم تريدون دائما – حتى نحتفظ بوحدة العمل التى تحققت خلال المعركة، وحدثته فى أنه سبق أن قام بدور فى إزالة الجفوة بين الرئيس الجزائرى هوارى بومدين وبينى وأننى أريد أن أرد له هذا الجميل بأن أصحبه إلى الجزائر لإزالة الجفوة بينه وبين الرئيس بومدين. واتفقنا أن نذهب بعد إتمام ذلك إلى طبرق لأتحدث مع كل الأخوة حول كافة قضايانا ومشاكلنا بصراحة نخرج منها متفاهمين على الأسس التى يمكن أن نتابع بها المسيرة.

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث واستمرت الحملات على ضراوتها السابقة.. ومن هنا وجدت أن لقاءات أخرى فى هذا الجو لا تجدى وفيها من المظهر أكثر مما يمكن أن تؤدى إليه من نتائج.

وحتى بعد عودتنا وجدت أن الحملات هى نفس الحملات بل أنها تتصاعد. لقد سكتت حقا صحف ليبيا بعض الوقت لكن تحدثت صحفكم فى بيروت التى أعرف والكل يعرفون أنها تصدر بأموالكم وتتصرف بتوجيهات أجهزتكم التى ربما كان فيها من يريدون تصعيد الأمور بيننا، ولكنه تبقى فى النهاية مسئوليتكم.

وإذا كانت تعليقات متناثرة قليلة فى صحافتنا تثيركم فكيف يقاس هذا بالحملات اليومية المكثفة ضدنا، وكيف أستطيع منع أى تعليق لأى كاتب مصرى وهو يرى هذه الحملات التى تشهر ببلاده ونضالها، وتستقطب كثيرين من الذين كان دأبهم معاداة مصر فى كل المواقف.

سنشرح مواقفنا علنا للجماهير العربية

إننا حتى الآن لم ندخل هذه المعركة. ولم نفعل على الأقل ما فعلتموه مرة حين كان ردكم على مقال نشر فى القاهرة هو إغلاقكم لمكتب العلاقات الليبية فى مصر، الأمر الذى حرصنا على عدم مقابلته بأى إجراء.

ولكننا سوف نكون مطالبين من شعبنا فى مصر ذات يوم لو استمرت الأمور على هذه الحال أن نشرح مواقفنا علنا ونوضح الأمور من وجهة نظرنا للعالم كله.

وهل يمكن أن نسكت أكثر من ذلك وقد وصلت الحملات المتشعبة على مصر إلى أبعاد لا وصف لها إلا أنها تآمر.

إننا نعرف تماما كل ما تنفقونه من أموال فى بيروت وفى غير بيروت، فى بلاد عربية وغير عربية، سواء الأموال التى تدفعونها للصحف أو لجماعات سياسية معينة.. مع تحريضها جميعا على مهاجمة مصر وتجريح سياساتها وقادتها وشعبها.

كما نعرف تماما الاتصالات التى حدثت فى داخل مصر نفسها مع عناصر طلابية وجمعيات دينية وصرف أموال وطبع منشورات مستهدفة نفس تلك الغايات.

وقد رأيتم كيف أن المتهم الأول فى قضية المدرسة الفنية العسكرية اعترف بأنه على الأقل قد تأثر بأحاديث سمعها من العقيد يتهم فيها مصر بالعمل على تصفية القضية الفلسطينية ويطالب بضرورة منع هذا بأى شكل.

ولماذا يبحث عن الأدلة وأحاديث العقيد المنشورة تحمل هذه المعانى. فهو لم يتحرج أن يتحدث فى باريس فى قلب أوروبا وبعد أقل من شهر واحد من وقف إطلاق النار، ودماء شهدائنا لم تجف بعد، لم يتحرج من التنديد بانتصارنا واعتبار حرب أكتوبر هزيمة جديدة للعرب، كما لم يتحرج من مهاجمة الرؤساء العرب علنا ودعوة شعوبهم للانقضاض عليهم.

ما الذى بقى من ثورة الفاتح من سبتمبر؟

الإخوة أعضاء مجلس الثورة...

إننى بعد هذا كله لأتساءل والألم يعتصر قلبى: ما الذى تبقى اليوم من علاقة الفاتح من سبتمبر بالثالث والعشرين من يوليو، ومن صلة بين مصر وليبيا، بل ما الذى تبقى حقا من ثورة الفاتح من سبتمبر ذاتها؟ هل كل ما تبقى هو تلك السلطة المزاجية

المطلقة التى أرهقت أى محلل بتناقضاتها وتقلباتها وغموض أهدافها؟ هل كل ما تبقى هو اتفاق كل تلك الأموال والجهود لمهاجمة مصر ومحاولة تنفيذ مخططات الأعداء فى عزلها؟ وهل تبقى للشعب الليبى ذاته رأى فى طرق التصرف فى حياته وعلاقاته وأمواله وفى سياسة بدأت تنتهى به إلى العزلة عن التيار العربى العام؟

لقد قصدت شرح هذه الأمور فى صراحة كاملة مهما كانت مؤلمة لى ولكم، لأننى ما زلت أريد وأعتقد أن كلينا حريص على أن تسير علاقاتنا إلى الأمام. ومواجهة الأمور فى صراحة تامة، ومعرفة كل منا أين يقف بالضبط وكيف ينظر إلى الأمور، هو الأسلوب الوحيد لكى نختار الصيغة المناسبة لعلاقتنا فى هذه المرحلة، إذا كانت ما تزال لديكم حقا رغبة فى ذلك.

إننا فى الداخل أوفياء لمبادئ ثورة 23 يوليو ونعمل على تطويرها من منطلقاتها التى استقرت فى ضمير الشعب بما يناسب الظروف المتغيرة والأوضاع الدولية الجديدة.

وإننا فى قضية المواجهة العربية والإسرائيلية لم تبذل ما بذلنا لكى نفرط فى أرض أو فى حق.

وفى هذين المجالين نحن نمد أيدينا لكل تعاون مع أى بلد عربى، وبالتالى مع ليبيا من باب أولى.

بل إننا نقبل المشورة والخلاف وحرية كل قطر فى العمل، إذا خلا من هذا التشهير والتجريح والتآمر الذى لا يمكن السكوت عليه والذى يهدد علاقتنا كلها بالدمار فى حاضرها ومستقبلها ولا يكون قد استفاد من ذلك سوى الخصوم والأعداء.

فى هذا الإطار بالنسبة لقضية الوحدة نحن قابلون للبحث فى أى صيغة تناسب المرحلة ولا تعقد الأمور ابتداء من خطوات الوحدة ذاتها وانتهاء إلى مجرد حسن الجوار، حتى تتضح لكم أمورنا.

وفى خلال هذا لن أحاول أن أفرض على ليبيا رأيا أو أتدخل فى شئونها بشئ أو أغير سياستنا فى الاستجابة لكل ما تحتاج إليه ليبيا لإنجاز خططها فى التنمية. وبناء قوتها الذاتية التى هى فى النهاية قوة للأمة العربية.

وبالنسبة لقضية المعركة وما تواجهه من جوانبها اليوم وما قد تواجهه غدا تستطيع الثورة الليبية أن تتريث وتحتفظ بحريتها وتنتظر نتيجة ما نناضل من أجله ثم لها بعد ذلك أن تختار موقفها.

أما عن الحملات المتوالية والتشهير المستمر ومحاولات تطويق مصر بالعداء.. فإننا واثقون من موقفنا ومن قدرتنا ولن نبقى صامتين مكتوفى الأيدى إزاءها إلى الأبد.

ولقد كنت أقول لكم دائما: أنتم الاحتياطى الاستراتيجى لهذه الأمة العربية فى مسيرتها الطويلة وإذا كان قدرنا قد أراد أن يكون علينا نحن مسئولية مواجهة المرحلة الحالية بكل أثقالها، وأن يكون علينا نحن أن ندفع الثمن ليظل الطريق أمام الأمة العربية مفتوحا نحو تحقيق أحلامها، فإن جيلكم ودوركم كاحتياطى لأمتنا هو الذى ستكون لديه فرصة ممتدة لموالة الطريق.

هذا هو موقفنا بل تجرد وصراحة والأمر بعد ذلك ليس فى يدى بقدر ما هو فى أيديكم.

وفقنا الله جميعا وهدانا سواء السبيل.

أخوكم

محمد أنور السادات